زاد المربي

ألقي في ربيع ثاني ١٤٤٦هـ من الهجرة النبوية

تقديم

أنا هيد بنت عيد السميري

غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. نسأل الله بمنه وكرمه أن يجعله مجلسًا مباركًا نافعًا، وأن يحقق مقصودنا، وأن نخرج منه متزودين -بإذن الله- بزاد ينفعنا في هذه المهمة العظيمة؛ مهمة التربية.

سننطلق من اسم اللقاء وهي كلمة (زاد)، ومن هنا سنبدأ بالنص القرآني الدال على هذا المعنى، وهو قوله تعالى في سورة البقرة: {وَتَزَوَّدُوا} وهذا أمر، ثم إنه -سبحانه وتعالى- يقول لنا مقررًا، ومفضلًا، وحاثًا لنا على نوع التزود: {فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ}.

فنحن مأمورون بالتزود، وهذه الآية في سياق آيات الحج، وفي ذلك مناسبة مهمة، ربنا أمر بالتزود في آيات الحج لأن الحج رحلة يحتاج فيها الإنسان أن يتزود، ورحلة الحج أشبه ما تكون برحلة الحياة التي الناس بحاجة فيها إلى التزود، ففي الحج نحن محتاجون أن نتزود لأنها رحلة طويلة تحتاج إلى زاد، وأشد منها طولًا

وصعوبة ومشقة رحلة الحياة، فإذا كان الأمر في الحج بالتزود مرة فهو في الحياة مرات ومرات.

قد ذكر أهل العلم في معنى {وَتَزَوَّدُوا} قولين مشهورين:

*{وَتَزَوَّدُوا} بالزاد الدنيوي الذي يوصلكم إلى الحج محفوظة كرامتكم، هذا التفسير الأول بمعنى الزاد الدنيوي.

*والتفسير الثاني يجعل الآية جملة واحدة، {وَتَزَوَّدُوا} من خير زاد وهو التقوى.

لو ذهبنا للسياق، كأن الحاج على التفسير الأول المطلوب منه أن يتزود بما يحفظ كرامته من شؤون الدنيا بحيث لا يحتاج إلى أحد من الناس، ومع أنه قيل له تزود من المأكول والمشروب والمركوب، لكن اعلم أن خير زاد يوصلك إلى الله في الحج هو التقوى.

على القول الثاني: الحاج يؤمر من بداية الأمر -قبل أن ينتقل إلى رحلة الحج- أن يتزود بخير زاد من أجل أن ينجح في حجه، فكأنه يقال: وما خير زاد؟ فتأتي هذه

الكلمات التي هي من باب التأكيد والتفضيل. نلاحظ (إن) للتوكيد، و (خير) للتفضيل، و (الزاد) الألف واللام التي تدل على استغراق الزاد، أي خير زاد على الإطلاق، ما خير زاد على الإطلاق؟ {التَّقْوَىٰ}.

سنخرج من الحج ونذهب إلى الحياة، لأن هذه الآية الكريمة، وإن كانت مناسبتها الحج لكن القاعدة في الآيات: حتى لو أنها أتت على الخصوصية، لكن هي تدل على العموم، فهذه الآية تدل على العموم، بمعنى تدل على أننا مأمورون، لأننا نرى فعل أمر (تزودوا)، نحن مأمورون في الآية بالتزود، ومأمورون بهذا النوع من التزود، ومأمورون أن نعتقد أن هذا النوع -الذي هو التقوى- هو خير زاد.

ونحن في طبيعتنا، بدون أن يكون هناك أمر من رب العالمين، وفي خلقتنا التي خلقنا عليها رب العالمين، نحن حريصون على أن نتزود، حريصون على أن نحمل معنا ما ينفعنا، هذا الحرص الذي في داخلنا من طبيعتنا

الإنسانية. وإلا من هذا الذي يخرج ولا يضع في حقيبته ما يحتاجه؟

لا أحد يذهب إلى السوق وما تزود بشيء من المال أو بأسباب المال، كل الناس بطبيعتهم إذا اتجهوا لشيء تزودوا له، هذه الطبيعة يريد منا رب العالمين أن نوجهها إلى الأمر الذي فيه نفع حقيقي؛ كأنه يُقال -أو كأن الآية تدل على ذلك-: عادتكم أن تتزودوا، وخُلقتم على أن تتزودوا، وهذه طبيعتكم، فلتكن هذه الطبيعة سببًا لكم أن تتزودوا بخير زاد للرحلة الحقيقية.

فهذه الآية ستتضمن ثلاثة أمور أساسية في فهمنا لمعنى زاد المربي:

*هذه الحياة التي نحن فيها، التي تجمعنا مع أبنائنا، تجمعنا مع من نحن مسؤولون عنهم، هذه الحياة رحلة، وهذه الرحلة لها طبيعة، **طبيعتها أنها ذات كدر، وتعب، ومشقة**، هذه الأوصاف رب العالمين وصف بها هذه الرحلة، ما وصف رحلتنا في الحياة أبدًا بأنها النعيم المقيم، فقد سمعنا أوصاف الدينا وأوصاف العيش فيها

وأحوال الإنسان في الدنيا، ما قيل لنا خُلق الإنسان في نعيم، بل قيل لنا خُلق الإنسان في كبد.

إذن هذا أول مضمون في هذه الآية، (نحن في رحلة)، لأنه لا أمر بالزاد إلا إذا كنت مرتحلًا، فلو كنت مقيمًا، فإن أشياءك موجودة في أماكنها، لكن لأنك مرتحل تحتاج إلى زاد.

نركز في وصف الرحلة؛ نحن وأحبتنا وكل من نحن مسؤولون عنهم، كلنا نشق طريقنا في رحلة، هذه الرحلة لها أوصافها، لا تنس أوصافها، لا تتطلب لهذه الرحلة أوصافًا غير أوصافها، وإذا اعتقدت لهذه الرحلة أوصافًا غير أوصافها لن تتزود بالطريقة السليمة، ولن يكون هناك زاد سليم، لو تصورتها نعيم مقيم ماذا ستحمل معك؟

هذا بالضبط مثل أن تتصور إلى أين أنت مسافر، وتعرف أنك مسافر لأهلك، لعائلتك، سيكون بيتهم مليء بكل الأشياء، فأنت لست بحاجة إلا أن تحضر معك

لباسك، لكن لو ذهبت إلى مكان مطلوب منك أن تأتي بكل شيء، تصورك للرحلة سيسبب فرقًا في تزودك.

هذه الآية التي فيها أمر بالتزود دليل على أننا وأحبتنا في هذه الدنيا راحلين في رحلة، وهذه الرحلة لها أوصافها، اقرأ في القرآن أوصافها، هذا الكلام سيؤثر على تزودك.

*النقطة الثانية أن (هذه الرحلة تحتاج إلى زاد)، واجب عليك شرعًا أن تتزود، أنت مأمور بذلك، لأنك تعرف ما هي الأوامر الشرعية؟ هي ما جاء في القرآن أو في السنة الأمر بها على أحد صيغ الأمر المعروفة في الشريعة، وأشهر صيغة للأوامر الشرعية أن يأتي الأمر بصيغة الأمر.

فللأوامر الشرعية صيغ كثيرة؛ مثل أن يمدح فاعلها، أن يوصف أن هذا الفعل من فعل الأنبياء، وهناك طرق كثيرة في القرآن تعرف بها أن هذا أمر شرعي، لكن أشهر طريقة لمعرفة أن هذا أمر أن يأتي بصيغة الأمر، والتزود أتى بصيغة الأمر، فيجب أن يحتل مكانه في

أفئدتنا، يجب أن يأخذ مكانه في قلوبنا، نحن في رحلة مأمورون فيها بالتزود، بمعنى أنه ليس شأنًا تكميليًا، وليس شأنًا متروكًا لاختيارنا. نحن مأمورون بأن نكون متزودين، يجب علينا أن نتزود.

*النقطة الثالثة وربما تكون هذه أهم إشارة؛ (أن الناس مفترقون ومختلفون في تزودهم)، ورب العالمين -الرحمن الرحيم الذي أنزل القرآن، وهو بنا رؤوف رحيم- دلنا على خير الزاد الذي نتزود به، فما تركنا نتخبط ما أحسن زاد نأخذه معنا في هذه الرحلة، بل قيل لنا في هذه الرحلة أنت تحتاج أن تتزود، مأمور أن تتزود، وعليك أن تعرف خير زاد تتزود به.

إذن هذه هي الثلاث نقاط في الآية:

*أننا في رحلة، وهذه الرحلة لها صفاتها من المشقة والكبد والعقبات،

*وأننا مأمورون بالتزود فيها،

*وأن الناس مختلفون في التزود، ورب العالمين أرشدنا لخير زاد، وهو التقوى.

وهذه الكلمة {التَّقْوَىٰ} على قدر ترددها في آذاننا، على قدر غموضها في الواقع، لا زالت تكاد تكون من الكلمات المغلفة، فيها حالة من الغموض، لن ندعي أننا سنبينها في اللقاء ونوضحها ونخرج نفهمها تمامًا، لكن سنبذل جهودنا للكلام عن الزاد، وفي آخر المطاف نتوقع أن الصورة ستتضح -إن شاء الله-؛ يتضح معنى الزاد الذي سنتزود به، الذي سماه رب العالمين (التقوى)، وهو خير زاد، لكن لا ننسى أن الناس مختلفون في التزود.

ابن كثير يشرح الآية بالإجمال فيقول: "{فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم إلى زاد الآخرة"، هذه الآية في سياق الحج، فرب العالمين لما أمرنا أن نتزود للحج، نقلنا من هذا الزاد الذي للحج إلى الزاد الذي يوصلنا إلى الدار الآخرة، "وهو استصحاب التقوى إليها، قال عطاء الخراساني في قوله: {فإن خير الزاد التقوى} يعني: زاد الآخرة". فإن خير الزاد للآخرة التقوى. فنفهم أننا في رحلة.

أول خطوة في التزود هي معرفة مصدر التزود، لما نقول خير زاد، هذا يدل على أنه يوجد زاد في الدرجة الأولى، ويوجد زاد في الدرجة الثانية، ويوجد خير زاد، فقد قررنا أن الناس مختلفون في تزودهم، إذن لا بد أن نتفق أنه من أجل أن أتزود بخير زاد لا بد من معرفة مصدر التزود، من أين أتزود؟

لأن في الدنيا الناس يرشد بعضهم بعضًا إلى مصادر التزود، ويبحثون عن أجود وأرخص شيء، في المأكول وفي المشروب وفي الملبوس وفي الأثاث، كل منا يرشد ما استطاع، أو يطلب إرشادًا في مسألة التزود، فأنا لا أتزود إلا عندما أعرف من أين أتزود. هذه مسألة معروفة، ومفهومة، الآن سنطبق نفس الفكرة على زادنا للآخرة؛ من أجل أن تتزود للآخرة لا بد أن تعرف مصدر التزود، ولا تنس أنك تسير في رحلة، ولا بد أن تكون متزودًا.

سنبدأ بالنشاط الأول، كان لنا سؤال وهو: ما الفرق بين الناس في مسألة مصادر التزود؟ أو بطريقة أخرى، أول التزود معرفة مصدر التزود، من أين أتزود؟

{أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} الملك ٢٢

هذه الآية ستؤكد هذا المعنى لو فهمناها على أنها ضرب مثل، هذا مثل مضروب، لو تصورته جيدًا ستتصور أناسًا سائرين -ألسنا في رحلة ونحتاج إلى زاد؟-، اثنان سائران:

*السائر الأول صورته واضحة (مكب على وجهه)،

*والسائر الثاني (معتدل).

ما صورة المكب؟ حين نقول "هذا مكب على دراسته"، مكب هذا شكل وصورة إنسان رأسه وعينيه متدنية، ينظر إلى الأسفل، والثاني صفته محذوفة، ستعرفها لو تصورت شخصًا مكبًا، فالثاني سيكون معتدلًا، فإما جلسة مكب أو جلسة معتدل.

تصورنا الآن اثنين سائرين في رحلتهما؛ أحدهما مكب والآخر معتدل، المكب على وجهه في الأرض يبحث عن ماذا؟ ماذا يفعل؟ علينا أن نفكر جيدًا لأن الثاني سيكون خلافه؛ حيث يمشي معتدلًا ظهره، والطريق عنده سوي لا اعوجاج فيه، وهذا الطريق هو صراط مستقيم.

فالأول منكب يبحث عن الطريق نفسه، من لا يعرف الطريق سينكب على الأرض ينظر هل هذه الأرض فيها آثار أقدام إنسان أو راحلة لأجل أن يتابعها؟ منكب على الأرض ينظر ليبحث عن الآثار، فمرة آثار الناس تأخذه يمينًا، ومرة تأخذه يسارًا، ويبقى في حال من السير غير المعتدل، المعوج، فهذا يقابله السوي على صراط مستقيم.

لذلك في الجزء الأول من الآية تشبيه لحال المتحير بحال السائر قاصدًا أرضًا معينة ليست لها طريق جادة، فهو يتتبع بنيات الطريق الملتوية وتلتبس عليه ولا يوقن بالطريقة التي تبلغه مقصده، فيبقى حائرًا متوسمًا يتعرف آثار أقدام الناس، وآثار أخفاف الإبل، أو آثار عجلات السيارة، فيعلم بها إن الطريق مسلوكة أو مهجورة.

فقوله عز وجل: {مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ} تشبيه حال المتحير المتطلب للآثار في الأرض بحال المكب على وجهه في شدة اقترابه من الأرض، فهو مكب على الأرض حتى يرى الآثار. ويقابله (من يمشي سويًا)، حيث شبه حال الذي آمن برب واحد، الواثق بنصر ربه وتأييده، وأنه مصادف للحق، بحال الماشي في طريق جادة واضحة، لا ينظر إلا إلى اتجاه وجهه، فهو مستو في سيره.

الآن تصورنا الحالتين -الشخصين-.

نرجع لما قلناه: أول التزود معرفة مصدر التزود، الناس وهم سائرون يريدون أن يصلوا إلى أماكنهم لا بد أن يعرفوا من أين يأتون بخارطة الطريق التي يجب أن يسيروا فيها، تصور الفرق بين هذين الاثنين؛ واحد معه خارطة الطريق، متزود بمعرفة الطريق، فأول الزاد أن تعرف هذا الطريق، وما صفاته، وما الذي يوصلك إلى مرادك؟ هذا أول التزود، في مقابل أن من ليس عنده هذا الزاد؛ خطة الطريق، وخطة الحياة، وإلى أين يريد أن

يصل، وكيف يصل إلى ما يريد، هذا سيكون مثل المكب على وجهه.

فالناس شخصان، إما شخص يعرف من أين يأتي بخارطة طريقه، وهي أمامه مرسومة، وإما شخص يبحث، يرى أقدام الناس هنا وهنا، يسألهم: هل جربتم كيف تربون؟ نجرب معكم، إن كانت تجاربكم باطلة وغيرتم رأيكم نغير رأينا، هذا {مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ}.

نريد أن نتصور هذا المعنى بوضوح في مسألة التربية خصوصًا، المكب على وجهه يرى آثار أقدام الناس، هل هذه الطريق مسلوكة أو ليست مسلوكة، فيذهب في اتجاه حيث يجدها مسلوكة، ثم تنقطع به الطرق، ثم يبحث في طريق آخر يأخذه يمينًا ثم شمالًا، ... وهكذا.

فأول مشكلة في التزود: عدم تصور أنه توجد مصادر مقطوع بصحتها وهي التي تكفيك، ورب العالمين منّ بها عليك، لذلك اسمع هذا الكلام من كلام نبينا ﷺ، واجعله ملء السمع والبصر.

أخرج البخاري عن النبي ﷺ قوله ((ليس منَّا مَن لم يتغَنَّ بالقرآنِ))، قال البخاري: يتغنى بالقرآن أي يستغني به عن غيره. وهذه إحدى المعاني المشهورة المعروفة التي تكاد تكون هي أساس هذا المعنى، ما معنى يستغني بالقرآن عن غيره؟ معناه ليس عنده مصدر للتزود إلا هذا الكتاب، ليس {مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ} يبحث عن بنيات الطريق، ليس مكبًا على وجهه يرى آثار أخفاف الإبل وآثار أقدام الناس، بل مستغن بالقرآن عن غيره.

هذا المعنى يجب أن يكون ملء السمع والبصر لنعرف أين الآفة والداء، فنحن أمة الإسلام الحاملين للقرآن، والداء ساري في مفاصلنا! ونعترف بالمسألة ونعرف الداء لنعالجه، ما هو الداء؟ الداء أننا حاملون للقرآن لكننا غير مستغنين به، والأمثلة على ذلك تطول، والأمور فيها ما فيها.

لو ضربنا مثالًا في التربية والتعليم هؤلاء سيغضبون، ولو أتينا بمثال في كذا، هؤلاء يغضبون، فنحن نضع أنفسنا في السليم ونقول ما هو الصواب، وكل واحد يكون

صادقًا مع نفسه، ويرى أين هو من باب الاستغناء بالقرآن؟ وهذا الكلام يقال خاصة للقادة الموجهين للناس الذين معهم، للناس المؤثرين على من حولهم، لأن في رقاب المؤثرين استغناء الناس بالقرآن أو عدم استغنائهم بالقرآن، في رقاب القادة أن ينتشر في المجتمع الاستغناء بالقرآن عن غيره وعن النظريات وعن الأفكار في التربية وفي غيرها، أو في رقابهم أن يكون المجتمع كله {مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ} يتتبع آثار غيره.

((ليس منَّا مَن لم يتغَنَّ بالقرآنِ))!

عرفنا النقطة الأولى، وهي أن هذا القرآن الذي هو مصدر التزود، يجب أن يبدأ الموضوع فيه بالقناعة أن هذا القرآن فيه كل ما أحتاجه، وحيث نقول القرآن نقصد الوحي على وجه العموم، لأن السنة هي رفيقة القرآن، وهي المبينة له في مواطن كثيرة، وهي الشارحة لأمور في القرآن، فنحن بغنى أن نقول إنه القرآن والسنة، الوحي الذي نزل من عند رب العالمين سواء كلام رب العالمين أو كلام رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

إذا شعرت أن ما ربى الجيل الأول وأصلحه هو الذي سيربي جميع الأجيال فيما بعده، سيكون ارتباطك بهذا الوحي، زادك هذا الوحي. ليس كلامًا وإنما عقيدة وفهمًا وسيرًا على الصراط، ليس سير شخص {مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ}، وإنما شخص يمشي سويًا على صراط مستقيم، ونحن -بإذن الله- ما نخرج اليوم إلا و قد وضعنا نموذجًا للاستغناء بالقرآن، وإن شاء الله يكون نموذجًا نافعًا، ويأتي من ورائه عملكم الذي يخصكم.

نبدأ بتصور المسألة بصورة الأثر للاستغناء بالقرآن والأثر لعدم الاستغناء بالقرآن، إذا لم نستغنِ بالقرآن، إذا ما حصل الاستغناء بالقرآن عن غيره ماذا ستكون الحال؟

نرى آيات سورة النور، وقبلها مثل النور {ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۚ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ }، مثل نوره في

قلب المؤمن كمثل المشكاة التي ضربها الله -عز وجل-، فيها {مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ...}، كان هذا مثلًا لنور الله في قلب المؤمن، هذا النور في قلب المؤمن إنما جاء من خلقة الله للإنسان على فطرة سوية وجاء من التزود بالعلم، التزود بالقرآن.

هذا بالنسبة لمثل النور، نريد المثلين الآخرين، حيث فقد أصحابها النور، حتى صاحب السراب فقد النور رغم أنه سراب، وأكيد أنه في النهار، لكن سيتبين كيف أنه ما استفاد من النور، نحن نقف أمام أشخاص كان عندهم الزاد ولم يتزودوا؛ كان عندهم القرآن ولم يستغنوا به، لأن الوحي هو الزاد وليس منا من لم يتعن بالقرآن، (ليس منا) هذه على درجات متعددة، (ليس منا) يعني إيمانه ناقص، أو (ليس منا) يعني خرج خارج الموضوع، فسنرى هذين المثلين اللذان غاب فيهما النور، بسبب كونهم لم يستغنوا بالنور الذي جاء من عند رب العالمين.

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ

حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (40)}

المثل الأول -كما في الآية الأولى-: لشخص لو أردت أن تصور حالته ستقول أنه في النهار، النور موجود حوله، لأن ظاهرة السراب لا تتكون إلا في النهار، وتكون الشمس في كبد السماء، أي في قوتها.

ما دامت الشمس موجودة، فأين الإشكال؟ لماذا لم ينتفع منها؟ لنرى المثل الحسي؛ الشمس موجودة، لكن وجود هذه الشمس هو ما سبب له الإشكال، كيف؟ نركز على المثل الحسي دونًا عن المعنوي، في ظاهرة السراب هل نلوم الشمس ونقول لها لمَ سببت السراب؟ المنطق يقول لا، إنما نلوم المنخدع الذي سار وراء السراب وما عرف حقائق الأمور، الذي جاء أناس في ظل هذه الشمس المنيرة، أخذوا شيئًا من نوره وأخذوه إلى السراب، وهذا سيظهر بوضوح لما نذهب للمعنوي.

إذن السائر وراء السراب يلام، ونلحظ أن السائر وراء السراب لو تحقق وبحث وفهم لعرف ظاهرة السراب، وفهم أن هناك سراب، وأنه مع وجود الشمس لكن توجد بنيات الطريق، يوجد سراب وأمور من هذا النوع.

الله يضرب مثلًا لأعمال هؤلاء الذين تركوا الطريق -كفروا-، هم يقومون بأعمال وجهود، ويرون أن جهودهم توصلهم إلى رضا رب العالمين، وينتظرون لجهودهم أن تكلل بالنجاح، حين ترى شخصًا يعمل ويجتهد وكله تفاؤل، وتقول له أين ستجد نفسك بعد خمس سنوات؟ يقول ننجح، وخططنا ستأتي بثمارها، وربنا يفهمك أين ستذهب خططهم التربوية التي يضعونها ويبذلون الجهود فيها، ونؤكد أنهم يبذلون، لأن رب العالمين قال {أَعْمَالُهُمْ} أي لهم أعمال وجهود، لكن لا تغتر بكون أن هناك أعمالًا، ولا تغتر بأنهم أثْروا المكتبة العالمية بالكتب، لا تغتر بأنهم كتبوا استراتيجيات وخططًا، لهم أعمال لكن أعمالهم مثل ماذا؟ السراب.

يجب أن تتصور الشخص في الآية، {يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً} الظمآن مثل الجائع المحتاج إلى زاد، شخص ظمآن، والظمأ -وهو الحاجة- يدفعه للبحث عن الماء، والبحث هذا مشروع، مثل واحد عنده أبناء، تحت يده مسؤوليات، عنده محاضن تربوية ... إلى آخره. هذا ظمآن يريد مناهج، يريد طرقًا للتربية وللإرشاد والتعليم، ظمآن، هذا الظمآن لا يلام عن بحثه، مطلوب منه أن يبحث عن ماء، لكن أين الخطأ؟ أنه بنى بحثه على ماذا؟ {يَحْسَبُهُ} هذه الكلمة تبين بحثه كان على ماذا.

فهو يبني مواقفه وخططه على كلمة "كنت أحسب أن الموضوع كذا"، هذا في حساباتي، ولا يوجد يقين.

أنت ظمآن غاية الظمأ، وظمآن هنا على وزن فعلان بمعنى ملآن، يعني مليء بالعطش، وهو مليء بالعطش المفروض يكون متحققًا مما يريد، مسترشدًا حتى يصل، لكن بنى تفكيره كله على (أحسب). {يَحْسَبُهُ} يحسب السراب أنه {مَاءً}، وهو ظمآن، {كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ} أرض منبسطة وفيها مناطق فيها ميلان، بحيث أنه عندما يأتي

انعكاس الشمس عليها تأتي بالسراب بقوة، أرض فارغة، لأن لو كانت الأرض فيها أشجار ستعكس ضوء الشمس لكنها فارغة {بِقِيعَةٍ} انعكس عليها ضوء الشمس، فهذا الظمآن اعتقد أنها ماء.

وهذا ما يحصل بالضبط؛ تخلو الساحة التربوية من أطروحات إيمانية في التربية، فيحدث فراغًا، فيأتي انعكاس سراب للأفكار التربوية علينا، فنعتقد أن هذا ماء.

إذن لنعد مرة أخرى للظمآن وهو مليء بالعطش، ينظر فيجد سرابًا، لكنه لا يراه سرابًا، بل يراه ماء، ماذا يفعل؟ يتبعه، {حَتَّىٰٓ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا} ولك أن تتصور كم من الحسرات، لكن هذه الحسرات تكون بعد فوات الأوان، لأن الصغير يكون كبر، وما ربيناه عليه قد اشتد في داخله، وتكون المحاضن خرجت من تحت يده، {حَتَّىٰٓ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا}.

يا ليت ينتهي الأمر أنه لم يجده شيئًا، لو انتهى أمر مسؤولياتنا في التربية أننا لا نجد ثمرة في أبنائنا -أو فيمن نربي- هذه ستكون أهون، لكن المشكلة في الذي

وراءنا؛ أننا سنحاسب {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ}، حسرة أن الإنسان لا يجد ثمرة ما يريد حسرة عظيمة، لكن أعظم منها حسرة أنه سيحاسب على هذ الاختيار الذي اختاره، وكونه ترك الشمس وذهب للسراب.

هذا الاختيار كان في وضح النهار، كانت الأمور واضحة، لكن هو جهل أن هذه الشمس يأتي من ورائها سراب، واستطاعوا أن يخدعوه، وهو اختار لنفسه الخديعة -لكن هذه أسباب مختلفة-.

على كل حال هذا بنى كل تفكيره على الظنون، لما يقول أحد: كنت أظن أن هذا العالم أو هذا الذي أتى بأفكار من هنا ومن هنا بعيدًا عن الزاد الحقيقي، كنت أظن أنهم فاهمين ويرشدون الناس، نقول له: ألا ترى نتائج تربيتهم؟ ألا ترى نتائج أحوالهم التي مروا بها؟ ألا ترى نتائجهم؟ إذا كنت ترى نتائجهم وأنها من خيبة وخسارة إلى خيبة وخسارة، ومن منحدر إلى منحدر أسوأ منه، ومن سيء إلى أسوأ إلى الحضيض، ماذا تنتظر من

نتائج لك مختلفة عن نتائجهم؟ الذي تبنى هذه الأفكار هذه هي نتائجه، ولا عاقل يأخذ تجارب الغير وهو يرى خيبة وخسارة نتائج التجربة. فعندما تكون هناك خيبة وخسارة في النتيجة، تكون الخطة خائبة غير مناسبة.

بناء على ماذا يتبنى الناس هذه الأفكار وهذه النظريات؟! إلى درجة أن الشريعة تقول لك هذا هو الإنسان، هذه هي مكوناته، هذه هي حاجاته، هذه هي طريقة أفكاره، فنترك كل هذه الحقائق ونأتي بمثلث واحد كتبه لا نعرف حتى من هو، وفي النهاية يقول على رأس هرم هذه الحاجات الإنسانية (تحقيق الذات)! وماذا عن العبودية، والانكسار بين يدي الله؟ تحقيق الذات يعني أنا أقوم بأعمالي لتحقيق ذاتي وكل فرد لوحده، وكل يصارع في الحياة على أساس أنه يظهر نفسه ويطحن الآخرين، أي الفردانية! ما أنزل الله بها من سلطان، لكن تتداول على أساس كأنه قال الله وقال رسوله، أن هذا فيه هرم كذا، وهذا فيه نظرية كذا، ومبدأ كلام كأن لا نقاش فيه، ونرتب عليه الباقي، من الذي قال ليصلح لهذا الاستسلام؟

في المقابل تقول: "لا توجد جهود إسلامية"، أولًا هذا ليس صحيحًا، بل توجد جهود مبذولة ومشكورة، ربما لا تكون على المستوى المطلوب، وربما يكون بعضها على المستوى المطلوب، لكن لا يوجد أحد أخذ الكتاب بقوة فبدأ بالنشر والتفهيم، لأن مثل هذا النزع من القرآن أمر شديد، يحتاج إلى قوة، والنشر لهذا النزع يحتاج إلى قوة، والنشر لهذا النزع يحتاج إلى صادقين راغبين أن يكون منزعهم من القرآن حقيقة وليس إطارًا فقط؛ يأتي بنص، ثم كل محتوى النص والكلام فيه يأتون به من الشرق والغرب! الاعتزاز والاكتفاء بما نحمل شرط حتى تستفيد مما تحمل، شعورك أنك معتز بهذا الميراث الذي أورثنا إياه رسول الله ﷺ، وبقي ممتدًا في الأمة قرونًا يبني أبنائها، الاعتزاز به نقطة البداية حتى نستطيع أن نستقبله بقوة.

هذا الذي في السراب، كثيرًا ما يشبه الحالة التي نحن فيها، لأن الموضوع واضح ومع ذلك تركنا الشمس ونذهب للسراب، ونسأل الله ألا نكون كذلك، لكننا نتكلم

عن الوضع العام في مسألة التزود للمربين؛ إما أنه لخبطة وأفكار من هنا ومن هنا، وسير وراء السراب، أو كما في المثل الثاني.

المثل الثاني:

{أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (40)}

نبحث أولًا عن الشخص جيدًا، وهذه الآية أكثر غموضًا من الأولى، هذا واحد غريق، وبزيادة معلومات ستلحظ أنه في المحيط وليس في بحر عادي، أولًا لكلمة {فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ} ثم كلمة { يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ} لأن المحيطات هذه أوصافها، فيها أمواج داخلية غير الأمواج السطحية.

إذن هذا غريق في داخل محيط، الوضع هل هو نهار أو ليل؟ بعض المفسرين قال أنه ليل، والبعض قال أنه نهار، وهذا هو الظاهر -والله أعلم-، لأنه لو كان نهارًا

ستشعر بشدة الظلمة، كأنك تقول رغم أنه نهار فهو في الداخل ما يشعر أبدًا بالنهار، ما يشعر أبدًا بالنور، وهو أقرب في التفسير حتى تنتظم الثلاث آيات معًا؛ أن يكون نهارًا، لأنه في الداخل لا يشعر بأثر النور أبدًا مع أن الوقت نهار.

لماذا لا يشعر بأثر النور؟ تخيله في العمق، ما الذي يمنع النور عنه؟ نعد الموانع؛ {مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ} ماذا يفعل الموج في النور؟ يكسر النور، نفترض أن الشمس موجودة وساطعة، ويوجد موج، ما هو داخل الموجة اعتبر أن 30% من النور انعكس بسبب الموج، ودخل له الباقي 70%، وإذا اتجهنا إلى أسفل فالموج الثاني سيكسر النور، ونلحظ أن هناك شيء ثاني أكثر من الموج يسبب المشكلة، وهو السحاب.

الآية أتت بالأمور من الأسفل، هو شخص في الأسفل وفوقه الموج الداخلي للمحيط وفوقه موج وفوقه سحاب.

الترتيب من الأعلى: الشمس يحجبها السحاب، بعض النور الذي سيبقى من وراء السحاب سيكسره الموج

الأول، والقليل من النور المتبقي سيكسره الموج الثاني، فأصبح في ظلمات بلا نور أبدًا.

{كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ}، فمن كثرة الظلمة {إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا}، وهذا تمثيل لانعدام النور التام رغم أنه يملك حاسة البصر، لأنه {إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا} إشارة أن عنده حاسة البصر، أي عنده القدرات لكن ينقصه النور، لأن الإنسان لا يرى إلا بوجود النور، حتى لو كانت عنده حاسة البصر.

هذه النقطة فكر فيها بالنسبة للزاد، الزاد وبصيرة الإنسان، الإنسان عنده بصيرة في فؤاده، ما حاجته للزاد؟ ماذا يعتبر الزاد بالنسبة له، نحن نملك أعين تبصر، لو لم يوجد نور لا نستطيع أن نرى، نحن نملك عقولًا تفكر، لو لم يكن هناك وحي لا نستطيع أن نفكر بطريقة سليمة، عندنا عقول -التي في قلوبنا- وهي أداة تسترشد بالوحي، مثل لما تملك عينين مبصرتين لا يمكن أن ترى بدون

الضوء، **وتملك عقلًا يفكر، لكن لا يمكن أن ينفعك بدون الوحي، فالوحي للعقل مثل النور للبصر.**

نعود للمثل {إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا} ما حالة هؤلاء بالنسبة للتربية والتزود؟

*الأول عرفنا أن حوله الزاد لكنه أهمل الزاد وذهب وراء السراب، يمكن أن نقول إنه يقول القرآن هو المصدر لكنه لم يهتد كيف يستفيد منه، فذهب وراء السراب،

*والثاني توجد موانع بينه وبين الزاد، لم يسترشد بالوحي، ما الذي حصل له مع الوحي؟ كأنه أعطى القرآن ظهره، وقال هذا أساطير الأولين، ولا يصلح لكل زمان ومكان، هذا ضرب من الخيال أن تجعلونا على القرآن ونترك غيره من النظريات التربوية -موضوعنا-، الثاني حالته أكيد أنها أسوأ وأشد من الأول.

الناس في استغنائهم بالقرآن ثلاث درجات واضحة في سورة النور:

الأول استضاء بنور القرآن واستغنى بالقرآن عن غيره، وأخذ ينزع نزعًا من القرآن، أو استرشد بمن هو قوي في نزعه من القرآن، حيث يمكن بنفسه أن يأخذ من القرآن، ولسنا كلنا على مستوى واحد في قدرتنا أن نأخذ من القرآن، لكن على الأقل اتبع العلماء الذين يعرفون القرآن، هذا هو المثل في النور.

الاثنان الآخران ما موقفهما من الاستغناء بالقرآن عن غيره؟

الثاني يعترف أن القرآن مصدر، شمس واضحة، لكنه لما استرشد ضل في الاسترشاد وجرى وراء السراب، ظن نفسه أنه يستطيع بعقله منفصلًا عن الوحي أن يفهم، حتى مع اعترافه أن الوحي هو المصدر، الثاني يعترف أن الوحي مصدر، لكن ما مشكلته؟ أنه ما اتجه للمصدر، ما ذهب للنور، بل ذهب إلى السراب.

الثالث أعرض تمامًا عن الاستغناء.

يقول ابن القيم: "ذَكَرَ سُبْحانَهُ لِلْكافِرِينَ مَثَلَيْنِ: مَثَلًا بِالسَّرابِ، ومَثَلًا بِالظُّلُماتِ المُتَراكِمَةِ، وذَلِكَ لِأنَّ المُعْرِضِينَ عَنْ الهُدى والحَقِّ نَوْعانِ:

أحَدُهُما: مَن يَظُنُّ أنَّهُ عَلى شَيْءٍ" يعتقد نفسه متصلًا بالخير، متصلًا بالحق، "فَيَتَبَيَّنُ لَهُ عِنْدَ انْكِشافِ الحَقائِقِ خِلافَ ما كانَ يَظُنُّهُ، وهَذِهِ حالُ أهْلِ الجَهْلِ وأهْلِ البِدَعِ والأهْواءِ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أنَّهم عَلى هُدًى وعِلْمٍ"، وفي الحقيقة يكتشفون أنهم ليسوا على شيء، هؤلاء يعتقدون أن لهم صلة بالكتاب وأنهم يتزودون منه، وأنهم إذا أرادوا التربية أخذوا من القرآن أو من السنة، والحقيقة أن نزعهم من القرآن والسنة ليس على هدى، وإنما كما ذكر أنهم أهل جهل وأهل بدع وأهواء، "فَإذا انْكَشَفَتْ الحَقائِقُ تَبَيَّنَ لَهم أنَّهم لَمْ يَكُونُوا عَلى شَيْءٍ، وأنَّ عَقائِدَهم وأعْمالَهم الَّتِي تَرَتَّبَتْ عَلَيْها كانَتْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يُرى في عَيْنِ النّاظِرِ ماءً ولا حَقِيقَةَ لَهُ، وهَكَذا الأعْمالُ الَّتِي لِغَيْرِ اللَّهِ وعَلى غَيْرِ أمْرِهِ، يَحْسَبُها العامِلُ نافِعَةً لَهُ ولَيْسَتْ كَذَلِكَ.

والنَّوْعُ الثّانِي: أصْحابُ مَثَل الظُّلُماتِ المُتَراكِمَةِ، وهم الَّذِينَ عَرَفُوا الحَقَّ والهُدى، وآثَرُوا عَلَيْهِ ظُلُماتِ الباطِلِ والضَّلالِ، فَتَراكَمَتْ عَلَيْهِمْ ظُلْمَةُ الطَّبْعِ وظُلْمَةُ النُّفُوسِ وظُلْمَةُ الجَهْلِ حَيْثُ لَمْ يَعْمَلُوا بِعِلْمِهِمْ فَصارُوا جاهِلِينَ، وظُلْمَةُ اتِّباعِ الغَيِّ والهَوى، فَحالُهم كَحالِ مَن كانَ في بَحْرٍ لُجِّيٍّ لا ساحِلَ لَهُ وقَدْ غَشِيَهُ مَوْجٌ ومِن فَوْقِ ذَلِكَ المَوْجِ مَوْجٌ، ومِن فَوْقِهِ سَحابٌ مُظْلِمٌ، فَهو في ظُلْمَةِ البَحْرِ وظُلْمَةِ المَوْجِ وظُلْمَةِ السَّحابِ، وهَذا نَظِيرُ ما هو فِيهِ مِن الظُّلُماتِ الَّتِي لَمْ يُخْرِجْهُ اللَّهُ مِنها إلى نُورِ الإيمانِ".

نعود مرة أخرى للآية ونشرحها:

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا} في الآية المقصود الكفر الأكبر، لكن هذا الجزء ليس مقصودنا في فهم الآية، مقصودنا أن هؤلاء لهم أعمال {أَعْمَـٰلُهُمْ}، هل هناك جهود؟ نعم، هل هناك أعمال خير؟ نعم. لكن هذه الأعمال مثل ماذا؟ مثل السراب.

سنبدأ في شرحها من عند الظمآن العطشان، الظمآن على وزن فعلان؛ المليء بالعطش، الذي يبحث عن ماء، فيرى سرابًا بأرض منبسطة يحسبه ماء، أعماله بهذه الصورة، كل الجهود التي قام بها مثل السراب، هو يعتقد أنها نافعة، وأنها تصلح، وأنه إذا ربى أتى بنتيجة، وأن هذه الخطة ستأتي بنتيجة، ولما يصل للثمرات يجده سرابًا، ويا ليتها وقفت عند أن تكون سرابًا، {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ}، انتهينا من هذا.

الثاني عبارة عن غريق في بحر لجي في غاية الظلمة، تحكمت الظلمة فيه، الظلمة؛ ظلمة الموج الذي فوقه موج الذي فوقه سحاب، {ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا} هذه صورة لتفكيره، تفكيره في ظلام تام، إذا كان هذا تفكيره، فنتائج تفكيره، نتائج تربيته، نتائج خططه، إذا في ظلام تام ماذا سيكون حاله؟ نتصوره بهذه الطريقة.

في آية النور الأولى يتبين لنا أن الله -عز وجل- يجعل النور لمن يحافظ على فطرته السوية، هو يفعل أفعالًا ليحفظ الله له نوره.

انتهينا من هذا، والآن اتفقنا أن زادنا إنما هو منزوع من كتاب الله، لكن هذا الزاد لما تتكلم فيه عن كتاب الله سيكون مطلوب منا كيف نعامل هذا الزاد، بهذا خرجنا بنتيجة أن **زاد المربي هو الوحي.**

الآن المطلوب كيف سنعامل هذا الزاد؟ بمعنى أننا سنأتي إلى سورة من سور القرآن ونحللها سويًا، ونتصور كيف أننا نتزود من القرآن، بمعنى أننا نريد أن نحول هذا الموقف الذي نحن فيه إلى موقف عملي، بحيث أنك تقتنع أنك إذا أردت أن ترشد نفسك أو من ورائك، أو تكتب خطة، فليكن المصدر هو كتاب الله، وليكن جهدك في تعلمه، وفي البحث عمن أرشد من خلاله إلى التربية.

أي أنت تعلمه ما استطعت، وهذا التعلم ليس فقط ذاتي، ابحث عن أحد كتب في هذا الباب، خطب في هذا الباب،

خرج من القرآن بقواعد لتربية الإنسان، هذا القرآن ما نزل إلا لترقية الإنسان وتربيته، المفروض أن ننزع من القرآن ما يوصلنا إلى تربيتنا وتربية الأجيال التي تلينا.

بسم الله نبدأ في هذه السورة

وهي سورة الطلاق

وستكون هذه السورة أقرب ما تكون إلى الوفاق، وسنرى عجائب في سورة الطلاق في التربية، وإن شاء الله نخرج بنتيجة نتمنى أن تكون سببًا للبحث في القرآن، وجعل القرآن مصدرًا للمفاهيم التربوية.

أول نقطة سنتفق عليها أنني سأتصور نفسي أبين ما يجب على هذه الأسرة التي دخلت بالمعروف كيف تخرج بالمعروف؟ ونبين لهذه الأسرة أن حسن الظن بالله هو مبدأ حياة المؤمن إلى منتهى حياة المؤمن، ففي الحديث ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله))، هذا عندما يموت، وطوال الحياة الواجب علينا أن نكون محسنين الظن بالله، بل لك أن تتصور أن **أهم مسؤولية على**

المربين تجاه أنفسهم وتجاه من يربون أن يحسّنوا ظنونهم بالله.

يجب أن تعرف أن ما تردى من تردى في النار -والعياذ بالله- إلا بسبب سوء ظنه بالله، وهذه الآية في سورة فصلت معلومة {وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ}، **الظن في الله الذي يظهر في المواقف هو ملخص عقيدة الإنسان.**

أكرر: أهم وظيفة للمربي لنفسه ولمن يربي أن يحسّن ظنهم بالله؛ هو يحسّن ظنه بالله ويحسّن ظن من يربي بالله، وإذا أردت أن تعرف هل أنت متزود من القرآن، مؤشر التزود من القرآن زيادة حسن الظن بالله، وهذا يكون في المواقف والأحداث.

سننظر لسورة الطلاق أننا نتعامل مع الموقف معاملة من يريد أن يحسّن ظن هذه الأسرة بالله، وهم في موقف الفراق نحسن ظنهم بالله بحيث أنهم عندما يفترقون، يفترقون على تقوى.

سنرى من بداية السورة: خطاب رب العالمين لرسوله الكريم ﷺ، وهذا الخطاب له وللأمة من بعده، كما هو معلوم، وكأنه يقال: هذا رسولكم يخاطب بهذا الخطاب، ويؤمر بهذه الأوامر فليكن قدوتكم في المعاملة، سنترك الأمرين الأوليين ونصل إلى الأمر بالتقوى، ماذا يقول رب العالمين؟ {وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ} رب العالمين يذكرهم بالتقوى وأنه ربكم الذي رباكم وأحسن إليكم بإيجادكم وإعدادكم وإمدادكم، وبإيجاد هذه الأسرة بتشريع الزواج، وأحسن إليكم بتشريع الطلاق.

لأن الإحسان هنا من الجهتين؛ من جهة تشريع الزواج، ومن جهة تشريع الطلاق، ومن يريد أن يفهم هذه المسألة فليرَ حال النصارى الذين يمنعون الطلاق، وكيف الأسر تفسد فسادًا عظيمًا، وكيف ينتشر -والعياذ بالله- الزنا والأخدان مقابل عدم وجود شريعة الطلاق، وهذا صنعوه بأنفسهم وليس من دين الله، فاتقوا ربكم الذي رباكم بنعمه، ومن نعمه شرعه، ومن نعمه تشريع الزواج وتشريع الطلاق.

إذن هذا أمر بالتقوى، أي الطلاق ليس لعبة، الطلاق له حدود، كما سيأتينا، والطلاق إنما سيكون اختبارًا، تتقي الله فيه أو تعمل بهواك، سنلحظ أن التقوى هنا أمر يلحقه تفاصيل.

ما هي التقوى في هذا الموقف؟ التقوى أن لا تخرجوهم من بيوتهم، ممنوع أن تخرجها من بيتها، أنت لا تخرجها من بيتها، وهي لا تخرج -باستثناء أن يأتين بفاحشة مبينة، سنترك الاستثناء-، لا تُخرجها ولا تَخرج، وتعلم أن {وَتِلْكَ حُدُودُ} حدود ما وضعها الخلق، إنما وضعها الله. ومن تعدى الحدود؟ فقد ظلم نفسه {وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ}.

أي يقال لكلا الطرفين لو أخرجك ما ظلمك، إنما ظلم نفسه، ولو خرجتِ مخالفة للشريعة ما ظلمتيه، بل ظلمتِ نفسك، ويأتينا الآن موقف حسن الظن بالله؛ لماذا لا تخرج؟ حسن الظن بالله يظهر في كونك تعلم أن الله بكل شيء عليم، أن الله على كل شيء قدير، ومن قدرته القدرة على هذه القلوب.

حين تحسب الحساب بالماديات تقول هؤلاء لا يمكن أن يعودوا لبعض مرة أخرى، ولا يمكن أن تصفى لهم حياة، لكن المتزوجين أصحاب الخبرات يقولون أن اللحظات التي يشعر الإنسان فيها أنه لا يمكن أن تستمر الحياة مرت كثيرًا، ثم عادت الحياة. لماذا؟ لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

فأنت حين تلتزم حدود الله، تلتزمها لأنك مؤمن أن الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، تحسن الظن في الله أنه بكل شيء عليم، لما اختار لك هذا التصرف إنما اختاره وهو العليم بكل شيء، العليم بما كان وبما سيكون، وبما لم يكن لو كان كيف سيكون، حسن ظنك بالله يجعلك تلتزم الحدود، تجاوزك للحدود يجب أن تعرف أنه ليس ظلمًا للآخرين، وإنما ظلم لنفسك.

كل الكلام الذي نتداوله دائمًا عن الاحترام، ولما تحترم نفسك، أوفر من هذا الكلام، وأفضل وأحسن منه أن نقرر هذه القاعدة دائمًا: **الله وضع حدودًا، الذي يلتزم بالحدود**

يكون أكرم نفسه، والذي يتعدى الحدود يكون ظلم نفسه ما ظلم الآخرين.

فكر في {لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا}، هذه العدة وهذا الزمن الذي شرعه رب العالمين يظهر فيه آياته وقدرته -سبحانه وتعالى- على تبديل أحوال الناس، نريد أن نتصور هذا المعنى في الزواج، ونتصوره أيضًا في التربية.

اخرج من موضوع الزواج وضع هذه القاعدة أمامك: {لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا}، أنت ترى أبناء غير سائرين في الطريق المستقيم، أبناء حصل لهم حالة من الانحراف، متربين بعيدين عن الحق، ماذا سيكون حالك معهم؟ ماذا سيكون شعورك تجاههم؟ ما ظنك برب العالمين في هذا الموقف؟ هذه هي نفس الجملة؛ كن حاملًا لشعور {لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا}، والمعنى أن الإنسان المؤمن برب العالمين، الذي يعلم أن الله على كل شيء قدير وبكل شيء عليم، لا يدخل إلى فؤاده اليأس

أبدًا، أبدًا، بل دائمًا يكرر على نفسه {لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا}.

انتهينا من الآية الأولى والحمد لله، يُحدث بعد ذلك أمرًا؛ صلاحًا في الأسرة، صلاحًا في الأبناء، صلاحًا في أيّ حال، ما دمت ما تعديت حدود الله إذن انتظر من الله كل خير {لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا}.

سنرى الآية التالية، لا زلنا في الأحكام، الله يأمر الأزواج أنهم إذا قاربوا انقضاء العدة أمامكم خياران؛ إما الإمساك أو الفراق، والإمساك أو الفراق لا بد أن يكون بمعروف، ومسألة الإشهاد ومسألة إقامة الشهادة لله، سنلحظ أن هذه الأوامر وجهت لمن؟ {ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}، إذن بطريقة أخرى: لو كان الفراق بغير معروف، سيكون دليلًا على ماذا؟ سيكون دليلًا على ضعف الإيمان بالله وباليوم الآخر.

يمكن أن يمسكها، مثلًا ليضرها، وهذا يحدث، يطلقها وقبل أن تكمل عدتها يردها مرة أخرى، وإلى آخره، معروف طريق كونه يمسكها أو يفارقها بغير معروف،

لما نفكر في هذا الموقف سنقول تصرفك في الاجتماع والافتراق بمعروف صادر من إيمانك، إذا كنت مؤمنًا ستتصرف بمعروف.

لماذا إذا كنت مؤمنًا بالله واليوم الآخر ستتصرف بمعروف؟ ونلاحظ الإيمان بالله واليوم الآخر، سيمسك بمعروف أو يسرح بمعروف، خصوصًا في مسألة الطلاق نجد أنها تقول كلامًا كثيرًا، وهو يقول كلامًا كثيرًا، وأنت كمستمع تصل إلى حد أنك لا تعرف أين الحق، فالحياة الزوجية هذه مجموعة أسرار، أحيانًا هذه الأسرار تخفى حتى على أصحابها.

كم مرة الإنسان مع شريكه في تجارة، وليس في الحياة، -فالحياة ليست شركة، الحياة موضوعها مختلف-، كم مرة يتعرض أنه يسيء فيه الظن ويفهم الموضوع خطأ، وهذا يفهم الموضوع خطأ، ثم يتصرف الإنسان إما وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، أو يتصرف وكأنه لا يؤمن بالله واليوم الآخر.

تصور هذا وهو شريك يمكن أن يعامله، ويمكن أن ينفك عن المعاملة معه، في الحياة الزوجية المسألة أصعب وأدق، كم مرات في الحياة الزوجية يفهم الإنسان الموضوع خطأ، الطرفان يشعران أنهما على صواب وكل منهما يكون مخطئًا، أحيانًا لا تستطيع أن تفَهم المخطئ خطأه، فتقول لهم: أفضل شيء في هذه المشكلة لا تفكروا في محاسبة بعضكم بعضًا، لكن فكروا في محاسبة رب العالمين، فكروا لما تقفوا بين يدي الله ماذا ستقولون على هذا الموقف؟ ماذا ستكون شكواكم أو ادعاؤكم؟ كونوا صادقين في ذلك.

لا بد أن نخرج هذه المحاكم الحاصلة وهذه القضايا التي تدور في الدنيا، وكلٌّ يبحث عن محامي يعرف ثغرات القانون، وكلٌّ يبحث عن أحد يكيد الطرف الثاني، نقول: هنا ستستطيع أن تخرج نفسك، لكن هناك محكمة في السماء، يوجد اجتماع في السماء، عند الله تجتمع الخصوم، هناك موضوع آخر، لذلك الذي يؤمن بالله

واليوم الآخر يوعظ هذا الوعظ، ومن لا يؤمن بالله واليوم الآخر ماذا سيكون حاله؟

هنا سيحصل الفجور في الخصومة، ويجب أن نعرف أن الفجور في الخصومة سببه الرئيس أن الناس لا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

فما نراه في أحوال الزوجين وقت الافتراق من سوء تصرف، بل من سوء أدب، بل من إخراج الأسرار والفضائح، هذا إنما هو دليل على عدم الإيمان بالله واليوم الآخر، أو ضعف الإيمان، أو ذهاب آثاره، ولذلك انظر رب العالمين كيف يربينا، لما تربي الزوج والزوجة لا تخيفهم من الفضائح، لا تخوفهم من المجتمع، لا تخوهم من الأسرة، بل خوفهم من رب العالمين، يجب أن يبنى في أنفسهم الخوف، أن هذا الزوج سيكون خصمًا لك يوم القيامة، هذه الزوجة ستكون خصمًا لك يوم القيامة، حتى لو انفصلت وذهبت لحالها، لها حقوق أنت قبضتها عنها، منعتها منها، استطعت في المحاكم أن تنزع منها كذا

وكذا، خذ في الدنيا ما أردت {ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}.

لأن هذه تفاصيل التفاصيل التي تخفى على الكل وتأتي المرأة تبكي ويقتنع الناس بها والقاضي يأخذ بها، ويأتي المحامي يعرف ثغرات القانون فيأخذ لها أكثر من حقها، والثاني يُظلم ومهما فعل لن يخرج بنتيجة، لو أراد أن يعيد المحاكمة سيكون ضياعًا للوقت والمال، فيوكل أمره لله. سيتبين لنا أن في الدنيا لها أثر، لكن لا بد أن يفكر الإنسان أن هذا سيكون وراءه أمر آخر، هذه المحكمة الأرضية قضت بما قضت، وربما يكون أحدكم ألحن بحجته من غيره، حتى النبي ﷺ يقول لنا كذا، وربما قضى النبي ﷺ بناء على قوة بيان الأول عن الثاني، لكن عند الله ليس هذا هو المقياس.

ولذلك الأسرة لو بنيت على حسن الظن بالله، وأن الله لن يضيع صاحب الحق، حتى لو ضيعه أهل الأرض، سيكون خروجه ودخوله في الأمور بالمعروف.

سيتبين عندما تُختم سورة الطلاق ستنتقل انتقالة بعيدة عن الطلاق: {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا}، انظر كيف بعد أحكام الطلاق تأتي: {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا}! وكأن القرية كلها عبارة عن أسرة الزوج وأسرة الزوجة؛ هذه الزوجة وجماعتها، وهذا الزوج وجماعته، فهؤلاء الجماعة أهل الزوجة حرضوها وقووها وفعلوا لها، وأهل الزوج فعلوا نفس الشيء، ماذا حصل للقرية؟ {عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا} فذهبت كلها، كأن القرية نموذجها الأسرة.

إذن إهمال الأسرة، التقليل من قيمة الأسرة، التقليل من قيمة المشاكل في الأسرة، هذا سبب أن تزول القرية، ولا أحد يعرف ما العلة، والعلة الأزمات التي في الأسرة.

فهذان الشخصان -اللذان بينهما من الأسرار ما الله أعلم به- يشكلان أمن الاسرة، بل وأمن القرية، وعدم إقامة الحق بينهما يشكل تهديدًا لأمن الأسرة، بل ولأمن القرية، لا تنظر للموضوع على أنه موقف خاص، هنا الرجل ظلم المرأة، وهنا المرأة ظلمت الرجل، وهنا ظلم، وهنا

ظلم... ونحن نسكت هنا، ونحرض هنا، إذن نكون حكمنا على قريتنا بالهلاك، كما سيتبين في آخر السورة.

من الذي يوعظ بالدخول بالمعروف والخروج بالمعروف؟ الذي يؤمن بالله واليوم الآخر، فلكي نصل لأبناء يدخلون بالمعروف ويخرجون بالمعروف يجب أن نقوي إيمانهم بالله واليوم الآخر حتى تؤثر فيهم الموعظة، وليس التحريض الذي يقول لا تكن ضعيفًا، وخذ حقك وانتزعه، وافعل حتى ينتزع الحق وزيادة.

ولا تتصور أن الشريعة تمنعك من أخذ حقك، لكن بالذات في الحياة الزوجية الحقوق كأنك تدخل عامود فيه شوك في كومة صوف، أمر متشابك، الحقوق غاية في التشابك، ابتداء من إعطاء المرأة حقوقها الشرعية في المهر وإلى آخره، وانتهاء بالإنفاق على المرأة، أمور غاية في التداخل، الأموال في هذا الموضوع غاية في التداخل، الحقوق النفسية غاية في التداخل.

إذا أردت أن تخرج بالحقوق الزوجية بأمر مثل المسطرة تفرق بها بين هذا وهذا، هذا ضرب من الخيال،

إذا أردت أن تأخذ حقك كأنك تدخل كرة من الشوك داخل صوف، وتريد أن تخرجها، انظر ماذا ستخرج معها، وتنزع معها، فلا تحتاج إلا إلى تقوى، لا تحتاج إلى مسطرة، لا تحتاج إلى سكين تقطع به البيت بالنصف، أنت تحتاج إلى تقوى.

لنرى الحاجة إلى التقوى: هو سينازعها في المحكمة، وسيسلط عليها محامي يعرف الثغرات وسيفعل، وهي ستتقي ربنا، هي موعودة بأن يجعل لها مخرجًا {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا}، إذن أحسن الظن بالله، هي في هذه الجلسة شعرت بالخيبة والخسارة، وشعرت أنها ظلمت، لكن أهم شيء تفكر هل كانت تقية أم لم تكن تقية؟ لأنها لو كانت تقية فهي المبشرة بالمخرج، فتحسن الظن بالله.

حين تربيه على حسن الظن بالله، تقول له: يا بني، حتى لو هذه المرأة استقوت عليك وفعلت وفعلت، أنت الزم جانب التقوى، لا تفكر في أنها ستنتصر عليك، لأن رب العالمين وعد المتقي، وليس المنتصر، أن يجعل له

مخرجًا، أنت تريد مخرجًا؟ إذن اترك عنك أحكام أهل الأرض، فكر فيمن سينصرك من السماء، أنت متقي، فسيجعل الله لك مخرجًا، وليس فقط سيجعل لك مخرجًا؛ وإنما مثلًا لو راح عليك كذا، أخذت عليك كذا، حكم لها بكذا، جعلوا النفقة كذا، لا تحمل همًّا، كن متقيًا ولست منازعًا، ولست مخاصمًا فاجرًا، أحسن الظن بربنا، أنت لو لزمت الحدود أحسن الظن بربنا، يا بني، أهم شيء في موقفك لا تكون مخاصمًا فاجرًا، يا ابنتي أهم شيء تكوني تقية، لازمة لحدود الله، لأن الله قد وعدك وعودًا، والله لا يخلف وعده.

إذا حصل منك التقوى كنتِ أهلًا لهذا الوعد؛ يجعل لك مخرجًا، ويرزقك من حيث لا تحتسبين، تنظر في الأمور فتقول: مقفلة من كل جهة، ولا منفذ، ماذا تظن في الله؟ لا تحسب الحسابات الدنيوية أبدًا؛ تقول أهلي ليس عندهم مال، ومصروفي كذا، وما عندي مكان، تقول سأقوّم محام آخر وأفعل به وأفعل!

الجواب {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} كافيه، سيكفيك ما أهمك، لكن أنت كن حسن الظن برب العالمين، لا تحول الحياة إلى معركة، لا تكن صاحب صفة من خاصم فجر، وإنما كن ذاك الشخص الذي يقف عند حدود الله، وسترى عجبًا من عطاء الله، سيجعل لك مخرجًا وسيرزقك من حيث لا تحتسب، وإذا وقع منك التوكل فهو كافيك ما أهمك.

تأتينا أزمة، وهذه أزمة ليست فقط في هذا الموقف، أزمة ونحن نربيهم على الدعاء، أزمة ونحن نعدهم بوعود الله، وهي العجلة، ويتصور أن ربنا قال {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}، فيريد أن ينام ويصحو ويجد الأشياء أمامه!

أولًا فلنعلم جميعًا أن الله لا يعجل لعجلة أحد من خلقه، كونك أنت تتعجل هذا شأنك، لكن ربنا لا يتعجل، والله خلق السماوات والأرض في ستة أيام، قال أهل العلم ليُعلم أن أمره ليس على عجل. فالله قادر أن يقول للسماء والأرض كوني فتكون، لكنه خلق السماوات والأرض في

ستة أيام حتى نعلم هذا العلم عنه، أنه - سبحانه وتعالى-، أمره ليس على عجل.

إذن على ماذا سأربيه وهو محسن الظن؟ {إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ}، كن واثقًا أن {اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ}، كن واثقًا أنه لو اجتمع كل الناس على أن يمنعوا رزقًا قد كتبه الله لك ما استطاعوا، ولو اجتمعوا على أن يعطوك ما يعطوك -كما وصى بهذه الوصية النبي ﷺ ابن عباس- متى سيأتي؟ من الآية: {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}، يعني وقتًا، أولًا {اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ}، ما دام ربنا أمر لا بد من نفوذ أمره، ثانيًا {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} يعني وقتًا ومقدارًا لا يتعداه ولا يقصر عنه.

فأنت تدعو وتدعو والله -عز وجل- جعل لهذا الأمر وقتًا، فلا تتعجل، الأمور ليست بالعجلة، الأمور لها أوقاتها، متى تأتي لحظة هداية أبناءنا؟ متى تأتي لحظة صلاح نفوسنا؟ متى تأتي لحظة أن يستفيق الإنسان من غفلة؟ {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}، أنت قم بما يجب

عليك واستمر في الطريق، و{قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}.

مثلًا تدعو للزوج بالصلاح، وتأتيك ابنتك في كل مرة تقول ادعي لزوجي بالصلاح ولا أستطيع أن أتحمل، لا أستطيع أن أصبر، فتقولين لها أنا أدعو، تقول أنا أدعو، ولكن ما حصل شيء، تقولين لها {إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} اصبري، فالأمور تأتي بالمقادير.

والأمور تأتي بالمقادير بحيث أن كل خطوة تسير فيها المقادير يكون لله حكمة بالغة أنها مرت بهذه الخطوات، أقدار الله محاطة بالحكم، التأخير والتقديم والتبديل للأحوال كلها في يد الله، لكن كل شيء جعل الله له قدرًا، وقتًا محددًا.

ابن حُسن الظن بالله على العلم بما أخبر الله به، انظر كيف الآيات كلها تجيبنا على كل سؤال؛ إذا لزمت حدود الله تكون تقيًا، إذا كنت تقيًا سيجعل الله لك مخرجًا، وسيرزقك الله من حيث لا تحتسب، وأنت في تقواك

اعتمد على الله، توكل على الله وسيكون الله حسبك، لا تحمل همًّا، هذا الذي تراه بعيدًا إذا سرت في طريقه وبذلت جهدك اعلم أن الله بالغ أمره، وسيأتي في الوقت المناسب {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}.

فلما يتعجلون في الدعاء، ولما يتعجلون في أقدارهم، أجبهم نفس الجواب {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} لا يخيبنا الله، نحن متوكلون على الله، فالله حسبنا، تأخرت الأمور حتى يختبرنا الله؛ هل نحن صادقين في توكلنا أو كاذبين في توكلنا؟ معتمدون في هذا كله على أن نبني نفوسنا على حسن الظن بالله، الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير.

واسأل نفسك: ماذا تظن في نفسك لو علمت أن أحدًا -مثلًا- في الصحراء وقد انقطع به الماء، انقطع السبيل به، علمت عن حاله، وأنت قادر أن توصل له ماء، وتوصل له طعام، ماذا تظن في نفسك؟ هل ستساعده أو ستبقى في بيتك؟ أكيد أنك ستساعده.

أرأيت كم تحسن الظن في نفسك لوجود صفتين؛ علمك وقدرتك، فماذا تظن بالله وهو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير؟ {إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ}. هل تتصور أنه لا يعلم أحوال الناس هنا وهنا، وما يحصل لهؤلاء هنا، وما يحصل للمسلمين هنا؟ هل تظن أنه لا يعلم؟ تعالى الله عن ذلك، هل تظن أنه لا يقدر أن يرفع عنهم؟ لا والله، لكن {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}، قد جعل لكل إنسان مكانًا في الجنة لا يعلم كيف يصل إليه، قد جعل كثيرًا من الصعوبات طريقًا لتسهيلات، وأنت لا تعرف.

أنت تحسن الظن في نفسك أنه لو أحد عنده أزمة وتعلم بها وتقدر على إعانته لن تتأخر، إذا كان هذا ظنك في نفسك {فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}؟! لذلك إيماننا أنه على كل شيء قدير وأنه بكل شيء عليم يجعلنا محسنين الظن به، متى؟ {إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}.

نرى الآية التي بعدها، لا زالت الأحكام، لما ذكر الله -عز وجل- الطلاق المأمور به يكون لعدة النساء، ذكر النساء اللاتي ما عندهن عدة، مسألة العدة وما فيها من

أمور وتفاصيل من المطلع عليها؟ ومن صاحب الكلمة فيها؟ المرأة، فكر في المرأة، لو ما اتقت المرأة الله في الأخبار المتصلة بعدتها، ماذا ستكون النتيجة؟

مثلًا لو هذه المرأة كرهت الرجل، ولا تريده، وتريد أن تقع الطلقة وتخرج من العدة، فبكل سهولة تكذب وتقول انتهت عدتي، من سيطلع عليها؟ من سيقول لها لا؟ انظر كيف مسألة عدة المرأة المطلقة، أو حتى الأرملة، أنواع العدة ما تبنى إلا على تقوى المرأة، إذا كانت تقية قالت الحق، ولو ما كانت تقية خلطت في الأرحام وفعلت وفعلت.

فتصور كيف الإنسان إذا كان عنده إيمان سيتصرف ويتخذ قراراته؟ وكيف سيتصرف إذا ما كان عنده إيمان؟ لذلك رب العالمين يطمئننا، إذا كنت تقيًا ماذا سيحصل؟ {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا}، هي تقول: لا أريده، أريد أن أعجل موضوع الانتهاء لأني لا أريده، نقول: لا تقعي فيما يغضب رب العالمين، تقول: وأمري؟ سيجعل الله من أمرك يسرًا.

نبني تفكيرنا على أن قراراتنا إذا كان فيها تقوى سيأتي وراءها خير كثير، أحسن الظن بالله، من امتثل أمر الله وجد خيرًا كثيرًا، {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا}.

عد في الآيات، ونحن في الكلام عن الطلاق، كم من الوعود، إذا كان هذا في الطلاق، فكيف في غيره؟!

*أول الأمر يخبرنا الله {لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا}

*ثم {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا}

*{وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}،

*{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}،

*{إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ}

*ثم {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}

*ثم نسمع {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا}.

وصلتنا سبعة من الأخبار عن الله ونحن في أربع آيات من السورة، أن التقي سيحصل له، ويحصل له، ...، أحسن الظن بالله، لا يمكن أن تمتثل أمر الله ويخيبك الله، لا تحسب بالحسابات الدنيوية.

ماذا يقول لنا رب العالمين؟ {ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ} ماذا تفعلون؟ تمتثلون وأنتم تثقون أن امتثالكم للأمر {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ} وماذا يفعل له؟ {وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا}.

حال توجيه المتربي إلى أوامر قد ينزعج منها، وقد يحصل في نفسه شعور أن امتثاله لهذا الأمر سيكون سببًا لخسارته، سيكون سببًا لضيقه، سنقول له: لا تفكر بهذه الطريقة، إذا اتقيت الله سيجعل لك مخرجًا، إذا اتقيت الله سيجعل لك من أمرك يسرًا، كل عسير سييسره رب العالمين، ليس من عندك تصرف له الوعود، بل من كلام رب العالمين، كل مرة يستصعب امتثال أمر ستقول: أنت لو سرت على الخط المستقيم سيكون هذا حالك.

مثلًا يستشيرك أنه يغش هو وأصحابه في المدرسة، لأن المادة صعبة ولأن الأستاذ غير متعاون، ولأن ...، ولأن ...، وعندهم الأعذار الكافية، ما الحل في النقاش؟

فلنفكر، هل هذا يرضي الله أو لا؟ ما دام غير مرضي إذن لا بد أن يأخذك إلى منزلق، يقول مهما ذاكرت فلن

أفهم، مهما درست لن أصل، تقول له من قال ذلك؟ هذه حدود الله، أنت لو فعلت ما أمرك الله، الله سيتولاك ويخرجك من هذا، لأن الله يجعل لك مخرجًا، لأن الله هذا وصفه، لأن الله هذا فعله.

لأنهم لكثرة المادية التي نعيشها هو يرتب الأمور بالصورة المجردة، واحد زائد واحد يساوي اثنين، هذا الأستاذ غير متعاون وسيأتي بأسئلة صعبة فلا حل إلا أن ننسخ الكتاب ونفعل كذا وكذا حتى نستطيع أن ننجح، وليس كأن النجاح والتوفيق بيد الله. هو يشعر أنه هنا بهذه الحسابات سيأتي، وأنت دورك ربطه بالغيب الغائب في الأطروحة التربوية، كأن الجزء الغيبي ليس موضوعنا، كأننا نغيب الجزء الغيبي أثناء التوجيه والمناقشة، لذلك كل هذا الكلام يربط الزوجين بالله وبالغيب وباليوم الآخر.

القضية ليس حسابات وأوراق، فمن يملك شأنكم وقلوبكم وصلاح أسرتكم وتعويضكم عما فقدتم ماديًا ومعنويًا هو الله، وما هو مخبوء لكم وقت صلاحكم عند

الله، وأرزاقكم ملك الله، والبركة في أعماركم وفي ذرياتكم شأن الله، لا شأن الأوراق ولا البنوك ولا أيّ شيء من هذا الذي يحسبون الناس حساباته، فلا تغيب في منظومتك التربوية الغيب، فهذا أهم زاد للمربي؛ الإيمان بالغيب، حسن الظن برب العالمين، أهم زاد أن تكون بنفسك متزودًا بحسن الظن حتى تستطيع أن تعطي من وراءك بهذا الظن.

نصل إلى الآية السابعة ونرى الخاتمة لضيق الوقت، رب العالمين يقول {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا} لن تكلفك الشريعة شيئًا أنت لا تستطيعه، ويأتي الوعد مرة أخرى {سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} هذا هو شأن الله في الحياة، الحياة هذه مواقفها، ضيق ثم سعة، ضيق ثم سعة، ...، {سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا}، لو حفظت هذه الكلمة وكررتها على من تخاطب سيكون أثرها عظيم.

هذا الخطاب يقوله رب العالمين لرسوله ﷺ في سورة الضحى: {وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ}، من معاني هذه الآية أن آخر كل أمر خير من أوله، يعني

{سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا}. كن واثقًا أن الله لن يكلفك إلا شيئًا أعطاك أدواته، وإذا شعرت أن هناك شيئًا فوق قدرتك يجب أن تعرف هذا الأمر {سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا}.

ثم نجد نقلة في الآية التالية {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا}

كان يجب أن يكون هذا سؤالًا ملح في أذهاننا: لماذا هذه النقلة المفاجئة في السورة؟ أنت تشعر أنها مفاجئة، لا زلنا نتكلم عن الزوجين والطلاق، والعلاقة بينهما، ... وإلى آخره، ما انتهى الأمر، ما حصلت حالة من التمهيد للانتقال، لكن الانتقال في مكانه بالضبط.

الإشارة هنا إلى أيّ شيء؟ {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ} ماذا فعلت؟ {عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا}، وفي بداية السورة رب العالمين قال {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} لا تستهتر بها، لا تعاملها معاملة من يشعر أنه فوق الحدود، المشكلة أنهم لا يعاملونها معاملة من يشعر أنه فوق الحدود، أصلًا لم يقل

له أحد أن هذه حدود الله، لم يقل أحد ويكرر أن هناك حدودًا يجب عليك ألا تتعداها، وإذا حصل التعدي فليس غريمك فلان ولا علان، بل أنت مباشرة مع الله، ليس غريمك المرأة التي ظلمتها ولا المال الذي أخذته منها، إنما أنت مباشرة مع الله، تعاملك مع الله.

لم يُقَل له هذا الكلام فصار أخذ الحقوق، والنصب على الناس، أصبح شطارة، صار يراه أنه إذا استطاع أن يغلب محاجه، ولو بالباطل، أنه فنان، وأنه استطاع أن يصل على إفحام الخصم، ولا يدري المسكين أن خصمه لن يكون فلان أو علان، وإنما الخصومة انتقلت إلى السماء، ولذلك كأين من قرية عتت عن أمر ربها، وعتت عن أمر الرسل، ماذا فعل بها رب العالمين؟ ما عاملها بحلمه ولا بلطفه ولا برحمته وإنما حاسبها حسابًا شديدًا {وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا}.

التفت يمنة ويسرة وانظر على من عوملوا بهذه المعاملة، انظر إلى تاريخ الناس القريب وليس البعيد، انظر كيف كانوا يتمتعون بنعم الله، كيف كانوا في رغد

من العيش، كنا نذهب من الخليج نعمل عندهم، وكل يعرف تاريخه، ثم دارت الأيام، عتت تلك القرية عن أمر ربها، هل تركها رب العالمين؟ لا، بل حاسبها حسابًا شديدًا، وعذبها عذابًا نكرًا، سواء على يد نفسها أو على يد غيرها، هذا شأن الله.

هل سيقف الأمر عند أولئك؟ لن يقف الأمر عند أولئك! أسرة تفسد، والمجتمع يساعد الأسرة على الفساد، المجتمع لا يأمر أطراف الأسرة بالتزام حدود الله، كل المجتمع اسمه {قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا}، لا تستهن بالأمور.

إذا ربنا أنعم علينا فلنحافظ على هذه النعمة لنفسنا ولمن وراءنا، لا نكن نحن وأبنائنا أصحاب القرية التي {عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا}. أين الضمان ألا نكون القرية التي {عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا}؟ ونحن نرى هؤلاء يتخاصمون ويفجرون في الخصومة، وأهل الزوج يساعدون الزوج على الفجور في الخصومة، وأهل الزوجة يساعدون الزوجة على الفجور في الخصومة، والأصحاب يساعدون، إلى

أن نجد القرية كلها كأنها استمرأت مسألة الفجور في الخصومة، فهذه {عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا}، {فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا} ذاقت طعم هذا الذي فعلته وكان عاقبة أمرها خسرًا.

هذا الموضوع ما انتهى، فلا زال باقيًا لها يوم القيامة، أعد الله لها عذابًا شديدًا يوم تلقاه، يا من تسمعون، وترون من حولكم وترون أرضًا زرعها كان يكفي أهلها ويكفي الناس ومن في الخارج، يا من ترونهم وتجدونهم في حد الفقر وأقل، ماذا تفعلون؟ {فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} اتقوا الله إن كان لكم عقولًا، قفوا عند حدود الله وأوقفوا أبناءكم، قد أنزل الله إليكم ذكرًا يذكركم.

ثم ننظر إلى هذا الشاهد المهم بالنسبة لنا في التزود، انظر منة الله كيف أرسل لكم رسولًا يتلو عليكم آيات الله مبينات، لأجل ماذا؟ لكي تتزودوا، ونتيجة هذا التزود {يُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}.

ولا زالت الوعود من رب العالمين {وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا}، الدنيا هذه مهما تركتها، مهما كان وقوفك عند حدود الله سببًا للتنازل عن أمور تشتهيها نفسك، اتركها فقد {قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا} عنده، هناك.

لذلك من البناء، ومن الزاد المهم للمربي الذي عليه أن يبنيه في نفس المتربي الإيمان بالغيب؛ الإيمان بالله واليوم الآخر، تصور كم من الأحاديث تسمعها ((مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إلى جارِهِ))، ((ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ))، ((ومَنْ كانَ يُؤمنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ))، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفعل ...، تخيل أن كل السلوك والأخلاق التي أمرنا بها مرتبطة بالإيمان بالله واليوم الآخر! إذن أين الإيمان بالله واليوم الآخر؟

قبل أن تتكلم عن الجار، أو عن حسن الخلق، أو عن أيّ سلوك اجتماعي، تكلم أولًا عن مبدئه وأساسه الذي

يبنى عليه؛ الإيمان بالله واليوم الآخر، أنت زادك الأساسي من الوحي، وأول ما تتزود به إيمانك بالله واليوم الآخر، يجب أن يكون هذا حيًّا وليس كلامًا، وما هو حيّ في نفسك ستنقله إلى الآخرين، وتصور هذه السورة كلها تكلمك عن الإيمان بالله؛ نحن مؤمنون بالله، محسنون الظن به؛ أنه سيجعل بعد العسر يسرًا، أن من يتقي سيجعل له مخرجًا، أن من توكل عليه فهو حسبه، نحن مؤمنون بالله، مؤمنون بهذه الأخبار، معتقدونها، باذلون الجهد أن نكون عاملين بها، على كل حال قد أحسن الله له رزقًا.

تصور الآن خاتمة السورة وهي من الآيات العظيمة التي تجيب على سؤال: لماذا خلق الله الخلق؟ بعد هذا الخبر كله، ما سمعت عن الله أنه يفعل ويفعل، وسمعنا في خمس آيات ثمان أخبار عن الله، كلها تقول لك: أطع الله، اعتصم بحبل الله، لا تتجاوز حدود الله، عامل الله، لأن من يعامله يحصل له كذا وكذا، ثم يكشف لك رب العالمين هذا الأمر العظيم الذي من أجله خلقت

السماوات، وخلقت الأرض، وأنزل الأمر الشرعي والقدري، ماذا يقول لنا رب العالمين؟

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ} سبعًا، {يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ}، يتنزل الأمر الشرعي والأمر القدري، الأمر الشرعي يعني الوحي للنبي ﷺ، والأمر القدري يعني كل الأقدار التي تجري على الناس، كأنك تسأل: لماذا يا رب العالمين خلقت السماوات والأرض وأنزلت الأمر الشرعي والقدري؟

يكون هذا هو الجواب: {لِتَعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا}، هاتان الجملتان لأجلهما خلقت السماوات والأرض، وهي عماد حسن الظن بالله، وقد اتفقنا لو آمنت أن الله على كل شيء قدير وبكل شيء عليم، ماذا ستظن في الله؟ إذا كنت تحسن الظن بنفسك لو أنك عرفت أمرًا أو علمت أمرًا وقدرت عليه، مباشرة تتوقع من نفسك أنك أنت الذي ستعين وتفعل، فكيف برب العالمين؟!

هذه الآية تقول لنا بالضبط بماذا سنتزود، **سنتزود من الوحي بما خلقنا لأجله**، نحن خلقنا لأجل ماذا في الآية؟ حتى نتعلم عن الله، خلقنا لأجل أن نحسن الظن بالله، خلقنا لتصبح الأيام والليالي والمواقف والأحداث تكشف لنا ما لله من عظمة، ما لله من صفات كمال. كيف سأوصل هذا؟

أنا سأتزود وأتعلم، وهذه الجملة ستكون كأنها المفتاح: أنا سأتزود وأتعلم، وبعدها أفسر لأبنائي ومن أربيهم المواقف في الحياة؛ هذا من رحمة الله، هذا من لطف الله، هذا من كرم الله.

كلما مر عليّ موقف أبذل جهدي أن أفكر فيه وأحلله حتى أرى آثار كمال الله فيه، فنحن كل ما نفعله لأبنائنا في التربية أن أفسر له الحياة، وهو سيحفظ هذا التفسير ويقيس عليه، وكلما كان الابن نبيهًا أكثر، وكان والداه عندهم مناقشات وحوار أكثر، بدأت تصبح عنده هو القدرة على تحليل المواقف، وكلما غذيته بالعلم استطاع أن يحلل المواقف.

أنت في الحقيقة في تربيتك مفسر لأفعال الله، أنت تربي يعني تفسر أفعال الله، تقول له هذا من رحمة الله، هذا من لطف الله، يقول: تأخر الدعاء، فسر له: {إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ}، {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}، مستعجل فقل ربنا لا يعجل لعجلة الإنسان، الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام لأجل كذا وكذا.

تصور أنه لا يستطيع هذه الوظيفة إلا إنسان تعلم وبقي يفكر ويفكر في أفعال الله، حتى استطاع أن يذوق آثار كمال الله في أفعاله، انظر إلى قصص القرآن، كل قصص القرآن هي عبارة عن تفسير لأفعال الله.

مثال أخير سيجمع لنا أشياء مرت علينا، نسمع عن فلسفة (صدمات الطفولة)، هذه الفلسفة الجديدة في تفسير مواقف وأحداث حصلت للناس، يسمونها صدمات الطفولة، تسأل الشخص: ما بك متعب؟ ويكون كبيرًا في السن، ويقول أنه يعاني من صدمات الطفولة، كيف تحل مشكلة هذا؟ اقرأ سورة يوسف، كيف اجتمعت عليه أمور وهو طفل، ولشدة ما كان صغيرًا تعلق بالدلو وخرج به،

فتصور كيف كان حجمه بحيث أنه لما تعلق بالدلو استطاعوا حمله.

هذا يوسف -عليه السلام-، الذي بدأ الموضوع بظلم إخوته، وانتقل إلى ظلم النسوة، كل هذه الصدمات ثم لما يفسر الموقف ماذا يقول؟ {إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ} [يوسف]، لاحظ هذا التفسير؛ أن هذه آثار لطفه، أن لطفه حمله من هذا المكان لهذا المكان حتى يصل إلى هذا المكان، فهو ما فكر في صدمات الطفولة، إنما فكر في اللطف الذي حصل له في نهاية الموضوع.

انظر إلى هذا التفسير وانظر إلى الفلسفة المستوردة، وهذا يعيدنا إلى بداية الكلام، لما نقول أن الناس في الأعمال يسيرون كسراب يحسبه الظمآن ماء، ستفهم بهذه الطريقة، ستفهم أن الشمس ظاهرة في سورة يوسف، نتركها ونرى صدمات الطفولة!

وإذا تركنا يوسف وانتقلنا إلى موسى -عليه السلام-، وكيف أُلقي وهو طفل، ثم رُبي في بيت العدو، وعرف أن هذا عدو، وحصل له كذا، ثم قتل نفسًا، ثم اضطر أن

يهاجر ويخرج، وبعد هذا كله يخبر الله -عز وجل- {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} [طه]، أي أن هذا كله صنع من الله له، وهذه هي الحقيقة، **فسر أفعال الله بما يجعلك تحسن الظن بالله،** لا تستورد الكلام وتقول (صدمات الطفولة)، وعند الناس الذين يبذلون في أعمالهم يقولون (الاحتراق الوظيفي)، كلهم محروقون! أرأيت البذل؟ أرأيت الأجور المرتبة على الإخلاص في العمل؟ نرميه في البحر! وأيّ أحد يبذل، وقد لا يكون يبذل أصلًا، ويأتي لك بهذا المصطلح ويتعامل معه!

نؤكد أن فكرة الاحتراق الوظيفي في الأصل مبنية على فكرة الرأسمالية في العمل، وأتت هذه تكمل الباطل، فكل هذا مبني على أفكار باطلة، الشاهد أن استيراد هذا كله في التفكير معناه أنا أترك الشمس وأذهب للسراب، أين الخطأ؟ يجب أن تبحث أين الخطأ، من طحن نفسه للدنيا والذي يريد الدنيا، هذا الذي يناقش معه موضوع الدنيا، أنت تعمل لأجل ماذا؟ ما صار عنده احتراق وظيفي إلا لأنه يعمل للدنيا، اترك التركيبة كلها، وارجع للمفاهيم

الصحيحة، نظرتنا للعمل، نظرتنا للبذل، حدود العمل، لأجل ماذا أنت تعمل؟ قصة طويلة...،

تصور المسألة أن كيف الاستيراد يؤثر على تفكيرنا، وكيف لما يقول أحد لأحد: "أنت مضطرب نفسيًا تعال أعالجك، تذَكّر كيف كان أبوك وأمك يعاملونك"، وبعدما كان محسنًا لوالديه بارًا بهما -وهذه مواقف حقيقية-، انقلبت نفسيته على والديه، وشعر أن والديه قد ظلماه.

ليس هذا فقط، هذه الفكرة تأتي أحيانًا للأبناء، وأمهاتهم جيدة ولا مشكلة عندها، وأمها تذكرها ماذا كنا من قبل؟ كيف والدينا ربونا، في حكاية، تقول لها أنتِ بارة وإلا مثلك لا يزور أمه، لا يكلمها مع ما فعلته لك في طفولتك. يعتمد مبدأ التحريض، وهذا كله واقع يعيشه الناس ويشتكون منه، وهذا كله بسبب ماذا؟!

تصور هذا المعنى، ثم تصور هذا المعنى في الإسلام، كيف اقترن بر الوالدين بالإيمان بالله، بمنع الشرك، تصور هذا المعنى وهذا المعنى، وافهم أن هذا الاستيراد في النهاية سيهد الأمة، سيهد القرية، سيذهب بقواها إذا لم

نعد لنحافظ على أنفسنا وعدنا لأصولنا، وعدنا لهذه المصادر وامتلأنا منها، وأحسنا الظن بربنا، وعرفنا لماذا نحن نعيش، وأننا يجب أن نمتلئ بالإيمان بالله، والإيمان بالغيب، إذا لم نفعل هذا سيأتي وعد الله، وسيأتي الوعيد علينا كلنا.

فلنكن الأمة المباركة التي تدفع عن غيرها، ونحن نعرف أن القرية لو كان فيها قوم صالحين فقط هلكت، فالقرية تحتاج مصلحين، فلنكن الصالحين المصلحين، ولننكب على كتاب الله ولنتدارسه.

الآن لما قرأنا كل سورة الطلاق، هل احتجنا إلى تفسير؟ حتى التفسير ما احتجناه، نحن عرب نفهم كلام رب العالمين، ولا نقول تقوّل على الله، نقول اقرأها فقط كما ينبغي، ولما يشكل عليك شيء ها هي أبسط الكتب متوفرة، وإذا صعب الأمر أكثر من ذلك فسل أهل العلم، لكن فليرى منا رب العالمين إقبالًا على كتابه، فليرى منا استغناء بالكتاب عن غيره، إذا رأى منا ذلك سيفتح لنا الأبواب.

الحمد لله لسنا قلة من جهة العلم ومن جهة القدرة على البحث، فليكن هذا برنامجًا ومشروعًا؛ أني أبذل جهدي لاختيار بعض السور وأجعلها منهجًا، مثل هذه السورة، منهجًا يدرس للأسرة حال وجود فكرة الطلاق عندهم، وقبل أن تكون عندهم فكرة الطلاق، منهجًا عامًا يدرس، ثم لحالات الطلاق خاصة نتكلم عنه، نقول له اطمئن، {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا}، من يتق الله {يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}. كل هذه الوعود لماذا؟

ليحصل طلاق آمن، ولا يكون الطلاق فجورًا في الخصومة، وهذا من النماذج التي نعيشها.

على كل حال الموضوع في هذا التزود يحتاج إلى بذل، إلى جهد، إلى مشاريع، إلى اجتماع، إلى دعاء لرب العالمين أن يجعل القرآن ربيعًا لقلوبنا ونورًا لصدورنا وجلاء لأحزاننا وهمومنا، اللهم آمين.